مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد:07./ العـدد:02. (ديسمبر2023)، ص.ص. 266-278

ظاهرة الوحدة القرآنية والوحدة الكونية وصلتها بالإعجاز العلمي

The phenomenon of Qur'anic unity and cosmic unity and their connection to scientific miracles

د.محمد عايش
m.aiche@univ-dbkm.dz
جامعة جيلالي بونعامة ـ خميس مليانة.
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2023/09/14 تاريخ القبول: 2023/10/08 تاريخ النشر: 2023/12/02

ملخّص:
لقد أثبت العلم الحديث وجود مظاهر الوحدة والتناسق في الكون، كما أثبت كثير من العلماء أن هناك مظاهر للوحدة والتناسب في القرآن الكريم. وفي هذا نجد بعض الباحثين الذين لهم اهتمام بموضوع الوحدة القرآنية، يرون تشابها بين الوحدة الكونية التي هي من مظاهر سنن الله تعالى والوحدة القرآنية.
تأتي أهمية هذا البحث في ربط ظاهرة الإعجاز البنائي في القرآن الكريم بظاهرة الإعجاز الكوني، أين تعكس عظمة الخالق في هذا الكون تكاملا وتناسقا يكْشِفُ وحدته. فكذلك هذا القرآن فيه تكامل وتناسق يكْشِف وحدته.
وجاءت إشكالية البحث مُنْبَثقة من الإعجاز الإلهي المطلق؛ فإذا كان الإعجاز القرآني يتجلى من خلال تضمين معنى إلهي في قالب لغوي يفهمه البشر، فإن الإعجاز الكوني يتجلى من خلال تضمين معنى الإعجاز الغيبي الذي لا يستوعبه البشر. فكانت الوحدة في القرآن والكون من جميع وجوهها تتسم بالإطلاقية التي هي الإعجاز الإلهي.
كلمات المفتاحية: الوحدة القرآنية؛ الوحدة الكونية؛ الإعجاز العلمي؛ الإعجاز البنائي، التناسق؛ التظام.

Abstract :
The modern science has confirmed the existence of union and coherence manifestations in the universe as well as many scientists who have confirmed that in the Holy Quran there are unity and connection manifestations. In this field, we could find some scholars, interested with the Quranic unity, who see a similarity between the universal unity, which is a nature of Allah, and the Quranic unity.
This paper makes a link between the structural inimitability in the Quran and the universal inimitability, so we could find that the greatness of the Creator is in the complementarity and coherence of the universe which show its unity, in the same way the complementarity and coherence in the Quran show its unity.
The question of the research is about the absolute divine inimitability. The quranic inimitability represents itself by the inclusion of the divine sense in a linguistic frame understood by the Human, while the universal inimitability is visible with the inclusion of the hidden/metaphysical inimitability, that Humans could not understand. So the unity in both the Quran and the Universe is absolute, like the divine inimitability is.
***Key-words** : Quranic unity, Un iversal unity, Scientific inimitability, structural inimitability, coherence, system.*

1- تحديد مفهوم الوحدة القرآنية

الوحدة في اللغة: تأتي بمعنى: «التَّوحُّد، وَتَوحَّد برأيه تفرَّد به، والوِحْدَة الانفراد»(1).

والوحدة القرآنية مركب وصفي، فالوحدة(2) معناها: الاتحاد أي اتحاد عناصر الشّيء الواحد وتماسكها وعدم الانفكاك والتناقض بينها حتى يكون ذلك الشيء محكم البناء، يقول أبو البقاء الكفوي (ت1094ه): « الوحدةُ كون الشيء بحيث لا ينقسم، وتطلق ويراد بها عدم التّجزئة والانقسام، فالواحدُ بهذا المعنى لا ينقسم ولا يتجزأ وهو الواحد الحقيقي»(3)، يقول طه جابر العلواني: «الوحدة هي مقابل للكثرة والتعدُّد أيّاً كان نوع الكثرة، وأيّاً كان إطار التعدُّد، فكون الشيء واحداً يعني به: أنه ليس قابلا للكثرة أو التكرار، وفي "الوحدة" معنى الثناء، فإن قيل: "فلان واحد الدنيا"، أو "وحيد عصره"، أريد به ذلك، فكأنه رغم انتمائه إلى البشر، وكونه واحداً منهم فإن له من الخصال والمزايا الحسنة ما يجعله كأنه انفصل عن جنسه الذي لا يتمتّع بتلك الخصال منه غيره، فصار واحداً»(4).

وأما لفظ "القرآنية"، فهو صفة للوحدة نسبة إلى القرآن الكريم، وبهذا يكون مفهوم "الوحدة القرآنية"، هو اتحاد ما في القرآن من الآيات والسور حتى يكون وحدة تامة لا تتجزأ، ويفسرّ بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضا، لا تناقض بين نصوصه، حاله حال البناء المحكم المتلاحم الأجزاء. «والقرآن المجيد منفصل عن سائر الكتب المنزّلة وغير المنزّلة، متفوق عليها- جميعا- بخصائصه ومزاياه، ونَظمه وبلاغته وفصاحته، وهو في الوقت ذاته واحد في داخله بهذه المزايا والخصائص، تنتظم حروفه وكلماته وآياته وسوره في سلك واحد. والقرآن واحد في كونه متفرّداً من تلك الحيثية، ومن حيث الأهداف والمقاصد والغايات والآثار حتى ليبدو في ذلك -كلّه- كما لو كان كلمة واحدة، أو جملة واحدة؛ لأن الواحد- في الحقيقة- ما لا جزء له البتة؛ فلا يقبل "التّعضية" أي: التقسيم إلى أعضاء قابلة للانفصال، ولا يقبل التحويل والتغيير والتّبديل فيما يتألف منه»(5).

ويتضح من هذا التعريف أمران، هما:

1- أنّ صورة الوحدة القرآنية تتجلى في تناسب آيات القرآن وسوره من أوّله إلى آخره، بما فيه من التناسب بين المقاطع، والوحدة الموضوعية للسورة الواحدة، والوحدة الموضوعية للقرآن وما إلى ذلك.

2- أنّ الوحدة القرآنية تقتضي أن يكون القرآن وحدة لا تتجزّأ، يصدق بعضه بعضا، لا تناقض بين نصوصه، كالجسد الواحد في تعاون أعضائه، فبعضها يؤثّر في بعض، بحيث لابدّ من ربط بعضه ببعض لفهم مراده(6).

2- ظاهرة الوحدة الكونية

إنّ النظر إلى الطبائع المادية للموجودات في ائتلافها مجموعةً، وفي ائتلاف الأجزاءِ الصُّغرى لها ضمن أجزاءٍ أكبر، يقود إلى العلم أنها وجدت لغايةٍ، وتسير إليها، وإنّ تركيبَ الوجود في السماء والأرض، دالٌّ على الإتقانِ والغائيّةِ(7)؛ ويلزم من ذلك ضرورةً القول بوجود الله(8)، وإنّ النّاظر لهذا الكون، يجد فيه مظاهر تدل على أنه وحدة واحدة يتناسق كل شيء مع غيره تناسقا دقيقا، إذْ لا يمكن أن يَستقلّ بعضه عن البعض الآخر؛ لأن كل شيء في هذا الكون خلقه الله بقدرٍ، قدرٌ يحقق هذا التناسق المطلق الجميل ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾، (القمر: 29). وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، (الفرقان:2). وقد اكتشف العلم الحديث أنّ هذا الكون وكلّ ما فيه من الأجرام والكواكب والأحياء والجمادات تتكامل وتتعاون في مسيرة هذا الكون بإذن الله ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، (النمل: 88).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 164). هذه الآيات عرضت بطرقة القرآن الخاصة التي وصفها سيد قطب بقوله: «فهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين وتُبَصِّر العقل بعجائب هذا الكون وتدعو الإنسان أنْ يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفر الحس، متيقظ العقل والقلب»(9)؛ فالسماوات بما تضمُّه من أبعاد هائلة وأجرام ضخمة وآفاق عجيبة وعوالم مجهولة، و «مع هذا التناسق في مواقعها وجريانها في ذلك الفضاء الهائل، تقابلها الأرض بجبالها وأنهارها ونباتها ودوابها وكائناتها التي لا تُحْصى، يربطهما الخضوع لنظام واحد لا يتغير، بل تتكرر حوادثه خاضعة لنسق واحد وترتيب واحد»(10)، وهناك تفاصيل

العلم عن أبعاد تلك النجوم وأحجامها وكُتلها وجاذبيتها بعضها لبعض، فوجودها في هذه المواضع-دون حدوث خلل ولا اضطراب-هو الذي يعين على وحدة هذا الكون وتناسق ما فيه من الكواكب والأجرام، وبالتالي يحافظ على استمرارية هذه الحياة(11).

يقول الشيخ نديم الجسر في كتابه "قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن": «سبحان الله العظيم... كيف تقف هذه الأحجام والأوزان الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب؟. يجيبك القرآن عن هذا فيقول لك ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد: 2) ويقول لك ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ (فاطر: 41). أمّا العِلْم فيقول لك إنّ هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية، التي شاهد العلماء آثارها، وأحصوا أطوارها، ومسّوا سطوحها ولم يسبروا أغوارها، وعرفوا قوانينها ونواميسها ولم يعرفوا، بَعْدُ، أسرارها...ولعمري إنه الحق ما قالوا. فالجاذبية حق، وقوانينها المحسوبة المتّزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق. ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم آثار المصادفة العمياء يا حيران...؟ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر:67) »(12).

وفي اختلاف الليل والنهار ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ نرى «تعاقب النور والظلام وتوالي الإشراق والعتمة، ذلك الفجر وذلك الغروب، ألاَ يدعو ذلك إلى التساؤل عن سر هذا التعاقب المنتظم، رغم تكراره على النسق ذاته كل عام: إذ يعود الليل ليطول ثم يتقاصر، ويحل الليل في النهار تدريجيا، ثم يشرق النور لمحو الظلام. يتكرر ذلك بمواعيد متساوية: كلّ يوم يساوي نظيره الذي كان قد مضى في العام المنصرم بنفس التاريخ من الشهر الشمسي المقابل، فهذه الدورة التي تدورها الأرض حول نفسها وحول الشمس مسببّة الليل والنهار وتناوب الفصول الأربعة، تذهل المتأمل وتدعوه إلى التساؤل عن سر هذا النظام، وعمن أوجده ورتّبه بهذه المواعيد الثابتة والمظاهر المتشابهة، المتناغمة، المتكرّرة على نسق واحد!!..؟ »(13)، فهذه الأرض مثلا، التي نعيش عليها، حجمها وكتلتها وبُعدها عن الشمس، وهذه الشمس وكتلتها ودرجة حرارتها، وجعل الأرض على محورها وسرعتها في دورانها حول نفسها وحول الشّمس، وبعد القمر عن الأرض وحجمه وكتلته (14)، وتوزيع الماء واليابس على هذه الأرض، وكل ذلك يتعاون لبقاء الحياة والموجودات على الأرض(15). ونستطيع أن نشاهد مظاهر هذا التّناسق بصورة أوسع في عالم النجوم والكواكب وفي عالم الأحياء بعضها مع بعض وفي بناء الكون وفي ظروف الأرض حسبما ظهر عن طريق الأدوات الحديثة للعلم(16).

وبخصوص التناسق بين النجوم والكواكب، فقد قال تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: 40)، فدلَّ هذا العرض على أن دورة الشمس والقمر في فلك لا يحيدان عنه، وفي مواسم لا تختلف وفق تقدير محكم هو تقدير العزيز العليم، بما سنّه من سنن كونية ثابتة ومقادير قدّرها، فهي لا تتغير ولا تتبدل، فلكل نجم وكوكب مداره الخاص، لا يتجاوزه في جريانه، وقد أدرك العلم الحديث أن هناك مسافات هائلة بين النجوم والكواكب، فالمسافات بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال(17).

والقمر هو أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض، يبعد بنحو أربعين ومائتي ألف من الأميال، وهذه المسافات على بعدها لا تُعدُّ شيئا إذا قيست بالمسافات بين المجموعة الشمسية وأقرب نجم من نجوم السماء إلينا، وهو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية، وسرعة الضوء تقدّر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال في الثانية الواحدة، وبعبارة أخرى إن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو ثلاثة وعشرين مليون ميل تقريبا(18). ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 185)، ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (ق: 6)، ويقول الخالق: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت:53)، إنّه الخالق ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (الرعد: 2)، فـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾(الفرقان:61).

يقول الشيخ نديم الجسر: «فتعالى يا حيران ننظر، كما أمرنا الله، وعلى ضوء العلم، إلى ما في هذه السماء من شيء مخلوق بلا تفاوت، وبنيان مشيد بلا عَمَد، وسقف محفوظ بلا فطور، وسُمْك مرفوع بلا فُروج، وإلى ما

هي عليه هذه السماء من سعة تستحق أن يقول عنها خالقها بكل جبروت الألوهية: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات:47)، وإلى ما في بنائها من نجوم لا تعد ولا تحصى، وما لهذه النجوم من (مواقع) تستحق أن تكون محَلاً للقسم العظيم يُقسمه الخلاق العظيم»(19).

وقد قدّر الله خالق هذا الكون هذه المسافات على هذا النحو ليحفظه بحكمته، فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل يزاحم النهار في طريقه، لأن الدّورة التي تجيء بالليل والنهار لا تختل أبداً فلا يسبق أحدهما الآخر في الجريان، ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: 38-40).

يقول "كريسي موريسون" في دقة ترتيب هذه الكواكب ودقة تقدير مسافاتها بحيث تؤكد هذه الدقة وحدة هذا الكون وتعاون أجزائه: «إن الشمس التي جعلها الله مصدراً للضوء والدفء على الأرض، تبلغ درجة حرارة سطحها 12,000 درجة فهرنهايت، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلى حد يكفي لأنّ تمدنا هذه "النّار الهائلة" بالدّفء الكافي، لا بأكثر منه. وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة، بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، لو أنّ درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد زادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة، فإن كل نَبْتٍ يموت، ويموت معه الإنسان حرقاً أو تجمداً. والكرة الأرضية تدور حول الشمس بمعدل ثمانية عشر ميلا في الثانية. ولو أن معدل دورانها كان مثلا ستة أميال أو أربعين ميلا في الثانية، فإنّ بُعدنا عن الشّمس أو قُربنا منها يكون بحيث يمتنع معه نوع حياتنا»(20).

إنّ الوجود الحي والنظام المتكامل يقتضيان توفر منظومة قوانين وثوابت كونية دقيقة جدا ومتناغمة في تشابكها المعقد لتقود إلى أمرين عجيبين: نشأة الحياة واستمرارها، هذا الكون المنظّم نراه في «التناسق في عالم الحيوانات فقد اكتُشِف بأن هناك توزنا كاملا بين عدد الجوارح والحشرات والميكروبات، ومن ثم يتم بقاء هذه الحياة في هذا الكون العجيب. فالجوارح التي تتغذى بصغار الطيور قليلة العدد، وقليلة البيض وقليلة التفريخ، وهي في مقابل هذا طويلة الأعمار. ولو كانت مع عمرها الطويل كثيرة الفِراخ، لقضت على صغار الطيور، ولا اختل توازن هذه الحياة، وكذا الذبابة تبيض ملايين البويضات ولكنها لا تعيش إلا أسبوعين، ولو كانت تعيش بضعة أعوام مع هذه النسبة من البويضات لغطى الذباب وجه الأرض بنتاجه»(21)، يقول كريسي موريسون: «وإن الحشرات ليست لها رئتان كما للإنسان، ولكنّها تتنفس عن طريق أنابيب، وحيث تنمو الحشرات وتكبُر، لا تقدر تلك الأنابيب أن تجاريها في نسبة تزايد حجمها، ومن ثم لم توجد قط حشرة أطول من بضع بَوصات، ولم يَطُل جناح حشرةٍ إلا قليلاً، وبفضل تكوين الحشرات وطريقة تنفسها، لم يكن في الإمكان وجود حشرة ضخمة، وهذا الحد من نمو الحشرات قد كبح جماحها كلّها، ومنعها من السيطرة على العالم، ولولا وجود هذا الضابط الطبيعي، لما أمكن وجود الإنسان على ظهر الأرض»(22).

وهذا التوازن العجيب المذهل الدقيق، ليس فقط في تكوين الأرض ووضعها، إنما « شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل الأرض مقرا للإنسان، ولهذا فقد سخّر الله الأرض وما فيها وعليها لخدمة الإنسان خاصة، والحياة عامة. ولقد اكتشف العلم الحديث أن ملاءمة كوكب الأرض للحياة تتخذ صورا عديدة من التنظيمات والتوافقات الرائعة التي لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية، بل تجعلنا نتلمس قدرة الله وعظمته وآياته ... وصدق الله العظيم بقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (الذاريات: 20)، وباستعراض بعض الحقائق الكونية في خلق الأرض، فإننا سوف نجد البراهين الساطعة القوية على التوجيه الإلهي المقصود وراء كل شيء»(23).

يقول أمير فيصل فتح: «وأما التناسق في بناء الكون وفي ظروف الأرض فنقف هنا مع العلم ونقول بأن كون الطبيعة على هذا الشكل بلغ غاية الدقة بحيث لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون الأوكسجين ولما أمكن وجود حياة النبات. ولو كان الهواء أرفع كثيرا مما هو فإن بعض الشهب التي تحترق الآن بالملايين في الهواء الخارجي تضرب جميع أجزاء الكرة الأرضية. ولو أن نسبة الأوكسجين أكثر من 21 في المائة إلى 50 في المائة مثلا، لاحترقت هذه الدنيا وما فيها أو لو أن نسبة الأوكسجين أقل من 21 في المائة

إلى 10 في المائة، لتجمدت هذه الحياة كلها، بل إنّ دوران الأرض نفسه مرتبط تمام الارتباط مع تصميم هذا الكون، وله علاقة لا تنفك بحياة الإنسان. فلولا دوران الأرض حول نفسها لفرغت البحار والمحيطات من مائها، ولو دارت الأرض حول نفسها أسرع مما تدور لتناثرت المنازل وتفككت الأرض وتناثرت هي الأخرى في الفضاء، ولو دارت الأرض حول نفسها أبطأ مما تدور لهلك الناس من حر وبرد. فسرعة دوران الأرض حول نفسها هذه السرعة القائمة الكائنة اليوم، هي سرعة توافق ما على الأرض من حياة حيوانية نباتية بأوسع ما فيها» (24).

إنها سنة الله في الكون وآيات على بيان عظيم قدرة الله المتكاملة، فنحن نشاهد بأعيننا أن هذا الكون وكل ما فيه من الأشياء والأحوال والأحداث بمثابة وحدة واحدة لا خلل فيها ولا تفكك، كلها تسير في تآلف وتكامل بقدرة الله تعالى. إن هذا الكون منظم وبديع وكل ما فيه من الأشياء والأحوال والأحداث بمثابة وحدة واحدة لا خلل فيها ولا تفكك، وكلها تسير في تآلف وتكامل بقدرة الله تعالى(25).

3- دلائل الوحدة العضوية في جسد الإنسان

إن الله عز وجل كرّم الإنسان على سائر المخلوقات فكان ذو خلق متناسق القوام وذو فطرة نقية صافية على استعداد للرقي والكمال الوجداني والروحي وأوجد الله تعالى في الإنسان ملكة البيان والقدرة على التعبير والتفكير والتدبر، تتجلى ظاهرة هذه الوحدة في تركيب جسد الإنسان، إذ إن الله خلقه في أحسن تقويم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾. فكل عضو يرتبط مع غيره من الأعضاء، وكل جهاز فيه يتعاون مع غيره دون تضارب ولا تنازع ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت:53)، جعل في آفاق الكون ووقائعه الكبرى (آيات) أي دلائل، لو تأملها الإنسان كما علمه القرآن، لتوصل إلى الحق في مسألة الوحي والكون، ووجود الإنسان ومصيره والغاية من ذلك الوجود، إنّ «الآيات علامات قائمة في الكون والإنسان، ماثلة للعيان، تجتذب إليها القلب والعقل، فيهفو إلى تأملها، ويتأيّاها أي يتعمّدها بالتدبر والتفكّر المتأنّي، تدل على ربوبية خالقها وألوهيته ووجوب توحيده، وعلى أنّ هذا القرآن حق من عند الله، كالسماوات والأرض والجبال، واختلاف الليل والنهار، وما وهب الله الإنسان من سمع وبصر وقلب يعقل الحقائق»(26) فهو ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:8،7، 9). فـ«حيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه يدرك أسرار تكوينه الجسماني وتكوينه الروحي، ويدرك أن أعضاء هذا الجسد موزعة حسب التنظيم الدقيق، فكل منها في محلّه، وكل منها يؤدي وظيفته التي خلق لها في عملية الهضم والامتصاص، وفي علمية التنفس والاحتراق، وفي دورة الدم في القلب والعروق وفي الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم، وفي الغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه»(27).

يقول الشيخ نديم الجسر: «عن أيّ آيات الله تريد أن أحدثك يا حيران...؟ كلُّ ما في جسمك يدّل على الله، لأن كل ما خُلق فيك بديعٌ في تركيبه مُحكم في ترتيبه، رائعٌ في إتقانه دقيقٌ في اتزانه، متناسب في حركاته متوافق في غاياته، سواء في ذلك ما تراه بعينك من أقل الأعضاء شأناً وأثراً كالشعرة والقلامة إلى أعظمها قدراً وخطراً كالعين والأذن والقلب والكبد والمعدة والأمعاء واللسان والشفتين، وما لا تراه بعينك المجردة من ملايين الخلايا والأعصاب التي هي أعجب بأسرارها وأغرب، وأبدع وأروع؛ ولكني يا حيران أحصر لك القول حصراً في آيات الله التي اختارها هو، جلّت حِكمته، وأكثرَ من ذكرها في القرآن ليقيم البرهان القاطع للناس على وجوده وقدرته وحكمته، من غير أن يتعنّتهم بذكر أعضاءٍ ما كانوا يعرفون أسمائها فضلاً عن وظائفها»(28).

وهناك مؤلفات كثيرة تتحدث عن كمال هذا التكوين الإنساني العضوي وتآلفه وتناسقه مما يدل على أن هذا الجسد الإنساني وحدة متناسقة، يقول "كريسي موريسون" في كيفية التعاون بين أعضاء الجسد أثناء القيام بعملية الهضم ما نصه: «ونحن إذا نظرنا إلى الهضم على أنه عملية في معمل كيمياوي، وإلى الطعام الذي نأكله، على أنه مواد غُفْلٌ، فإننا ندرك توًّا أنه عمليةٌ عجيبةٌ، إذ يهضم تقريبا كل شيء يُؤكل ما عدا المعدة نفسها.

فأولا نضع في هذا المعمل أنواعا من الطعام كمادةٍ غُفْلٍ دون أي مراعاة للعمل نفسه، أو تفكير في كيفية معالجة كيمياء الهضم له! فنحن نأكل شرائح اللحم والكرنب والحنطة والسمك المقلي، وندفعها بأي قدر من الماء. ومن بين هذا

الخليط، تختار المعدة تلك الأشياء التي هي ذات فائدة، وذلك بتحطيم كل صنف من الطعام إلى أجزائه الكيمياوية، دون مراعاةٍ للفضلات، وتعيد تكوين الباقي إلى بروتينات جديدة تصبح غذاء لمختلف الخلايا، وتختار أداة الهضم الجير، والكبريت، واليود والحديد، وكلَّ المواد الأخرى الضرورية وتُعنى بعدم ضياع الأجزاء الجوهرية، وبإمكان إنتاج الهرمونات، وبأن تكون جميع الحاجات الحيوية للحياة حاضرة في مقادير منتظمة، ومستعدة لمواجهة كلِّ ضرورة» ويضيف كريسي موريسون شارحا: «وهي تخزن الدهن والمواد الاحتياطية الأخرى، للقاء كل طارئة، مثل الجوع، وتفعل ذلك كله بالرغم من تفكير الإنسان أو تعليله. إننا نصب هذه الأنواع التي لا تحصى من المواد في المعمل الكيمياوي، بصرف النظر كلية تقريبا عما تناوله، معتمدين على ما نحسبه عملية ذاتية "أوتوماتيكية" لإبقائنا على الحياة. وحين تتحلل هذه الأطعمة، وتجهز من جديد، تقدم باستمرار إلى خلية من بين بلايين الخلايا، التي تبلغ من العدد أكثر من عدد الجنس البشري كله على وجه الأرض، ويجب أن يكون التوريد إلى كل خلية فردية مستمراً، وألا يودع سوى تلك المواد التي تحتاج إليها تلك الخلية لتحويلها إلى عظام وأظافر ولحم وشعر وعينين وأسنان كما تتلقاها الخلية المختصة. فها هنا إذن معمل كيمياوي ينتج من المواد أكثر مما ينتجه أي معمل ابتكره ذكاء الإنسان، وها هنا نظام للتوريد أعظم من أي نظام للنقل أو التوزيع عرفه العالم، ويتم كل شيء فيه بمنتهى النظام»(29).

وهكذا، نلاحظ بعض مظاهر الوحدة في الكون وخَلْقِه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، أَخْضَعه لقوانين مُعيّنة ثابتة لا يحيد عنها، وحَفَظ تناسقه و توازنه في ترابط محكم بين عوالم الكون والكائنات- التي هي من السنن الإلهية- في خلقه.

4- الوحدة القرآنية والإعجاز البنائي

إنّ النّظم المحكم والرّصف المتفرد والبناء المتلاحم من أخصّ خصائص القرآن وأدق صفاته، وعندما نتحدث عن بناء النص القرآني، فإننا نقصد بذلك معماريته النصية(30) التي يتحدد من خلالها ترتيبه، ونوعيته الجنسية، وقد ذكر المحقّقون من العلماء أنَّ من وجوه إعجاز القرآن تآلف كلماته وجُمَلِه في آياته وتناسب آياته في سوره؛ فالسورة القرآنية «تُشكِّل وحدة مترابطة متناسقة متينة التركيب وبالوقت نفسه نجد بين سور القرآن جميعاً رابطاً عاما وصِلَة تصلها فإذا بالقرآن يتراءى وحدة واحدة عظيمة البنيان والانسجام»(31)، إنه «بناء محكم متماسك، يفيد معنى محددا؛ قال الله تعالى في مطلع سورة هود، عن القرآن الكريم: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:1). القرآن الكريم نص أتقنه صانعه، والإحكام إتقان الصنع، بحيث يكون سالما من الأخلال التي تعرض للنصوص في اللفظ والمعنى»(32). ومن المعلوم أن الكلام في الشأن الواحد إذا «ساء نظمه انحلت وحدة معناه، فتفرق من أجزائها ما كان مجتمعا، وانفصل ما كان متصلا... فلا بد إذاً لإبراز تلك الوحدة "الطبيعية" المعنوية من إحكام هذه الوحدة الفنية "البيانية"، وذلك بتمام التقريب بين أجزاء البيان والتأليف بين عناصره حتى تتماسك وتتعانق أشد التماسك والتعانق»(33)، إن أول ما يستدعي انتباهنا من تركيب لغة القرآن خاصية نظمه وتركيبه وتأليفه الصوتي في شكله وجوهره، إننا نجد في كلمات القرآن اتساقا وائتلافا، له لغة خاصة تسمو على لغة العرب التي نزل بلسانها فهوى أثرى النصوص جميعا (34).

ورد في القرآن الكريم آيات تدل على أن القرآن وحدة واحدة منها قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:82)، وقوله تعالى: :﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:1) ، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ (الزمر:23).

وقد استدل صلاح الخالدي في قوله تعالى: :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:82)، في إثبات الوحدة الموضوعية للقرآن حيث قال: «هذه الآية تقرر حقيقة جازمة، وتسجل ظاهرة ملموسة في القرآن الكريم، وهي حقيقة الوحدة الموضوعية فيه، وظاهرة التناسق المطلق الشامل في أسلوبه، وتعبيره وأساليب العرض الفني وطرائق الأداء الفنية، وفي منهج القرآن في التربية والتشريع والتوجيه والبناء وفي المناهج التي يقررها للحياة البشرية الكريمة»(35).

وأكد كثير من العلماء على أن القرآن الكريم معجز في ترابطه بعضه ببعض، فكل سورة منه مرتبطة بالسورة التي قبلها والسورة التي بعدها، وكل آية مترابطة مع الآية التي قبلها والآية التي بعدها، وهو مترابط في معانيه وموضوعاته، بحيث يعطي عن كل موضوع منها تكاملاً، على الرغم من معالجته في أكثر من موضع وأكثر من سورة.

وقد استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:1)، على أن القرآن وحدة بنائية واحدة. قال الزمخشري (ت538هـ) في تفسيره لهذه الآية:«﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ نُظِّمَت نظاماً رصيناً مُحْكماً لا يقع فيه نُقصٌ ولا خللٌ كالبناء المحكم المرصف»(36)، وقال سيد قطب:«﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم، متناسقة لا اختلاف بينها ولا تضارب، ومنسقة ذات نظام واحد»(37).

ويشير طه جابر العلواني إلى ما يدل عليه قوله تعالى:﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود:1)،«فالإحكام -هنا-من إحكام البناء بحيث يمتنع أي اختراق له لمتانته وقوته... وعلى هذا يكون المراد بالمركب (الوحدة البنائية) للقرآن: أن القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه واحكام آياته التعدُّد فيه أو التّجزئة في آياته، أو التّعضية بحيث بعضه يرفض بعضه الآخر، كما لا يقبل التناقض أو التّعارض وغيرها من عيوب الكلام فهو بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة، واذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه...»(38) .

وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ (الزمر:23). فيفهم منه أنه لا يوجد كلام أحسن من كلام الله، ومن مظاهر الحُسن في الكلام التناسق بين كلماته وعباراته، يقول الزركشي: (ت794هـ):«من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا»(39)، وقال الإمام أبو زهرة: «إن جمال الكلام ليس في توالي ألفاظه في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»(40). ومما يؤكد هذا المعنى في قوله ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ يقول الإمام ابن عطية:« ﴿مُتَشَابِهًا﴾ معناه مستويا لا تناقض فيه ولا تدافع بل يشبه بعضه بعضا في رصانة اللفظ ووثاقة البراهين وشرف المعاني، إذ هي اليقين في العقائد في الله وصفاته وأفعاله وشرعه»(41).

وقد تعرض كثير من العلماء الدارسين لكشف وجوه الترابط بين الآيات والسور، بل إن بعضهم قد أفرد هذا العلم بالتصنيف، فاستخرجوا المناسبات بين آيات القرآن وسوره، وقد عقد كل من الزركشي والسيوطي والبقاعي بابا خاصا بالمناسبات بين الآيات وبين السور، ليثبتوا أن القرآن الكريم كله وحدة واحدة يفسر بعضه بعضا، فالزركشي يُحدِّد أنماطاً عِدَّة من وجوه المناسبة التي يمكن أن يجدها الإنسان في القرآن بقوله: «المناسبة علم شريف تُحْرَز به العقول ويُعرف به قدر القائل فيما يقول... وفائدته جعل أجزاء الكلام، بَعْضها آخِذاً بأعناق بعض، فَيُقوِّي بذلك الارتباط، ويَصير التَّأليف حالُه حالَ البناء المُحْكَم، المتلائم الأجزاء»(42).

ويؤكد البقاعي أهمية معرفة أوجه الترابط في القرآن، فهذا « يكشف أنَّ للإعجاز طريقين: إحْدَاهما نَظْمُ كلُّ جُملة على حِيالها بحسب التركيب، والثانية- وهي الأهم- نَظْمها مع أختها بالنَّظر إلى الترتيب»(43)، ويضيف قائلا: «وبه يتبيَّن أيضاً أسرار القصص المُكَرَّرات، وأنّ كلَّ سورة أُعيدت فيها قصة فَلِمَعْنى أَدْعَى في تلك السُّورة، استدلَّ عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سِيقَتْ له في السّورة السابقة..»(44).

وبخصوص بناء السورة وتعانق موضوعاتها خدمة لتحقيق مَقْصَدها العام يقول البقاعي: «فإنَّ كل سورة لها مقصد واحد يُدَارُ عليها أوَّلها وآخرها، ويُسْتدلّ عليه فيها، فتَتَرَتَّب المقدمات الدَّالة عليه على أَتْقَنِ وجه وأَبْدَع نهْج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدلَّ عليه، وهكذا في دليل الدَّليل، وهلَمَّ جَرا، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النَّظر إليه على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع... وآخِرَ السُّورة قد وصل أوَّلها كما لاحم انتهاؤُها كما بَعْدَها، وعانَقَ ابتداؤُها ما قَبْلها، فصارت كلُّ سورة دائرة كبرى مُشتملة على دَوَائر الآياتِ الغُرِّ، البديعَةِ النَّظْم العجيبة الضَّم...»(45).

وعلى هذا النَّهج سار السيوطي في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)، وفي ذكرِهِ لأنواع المناسبات تَفصيلُ بعض السور لِمَا أُجْمِلَ في بعْضِها يقول في ذكره لمناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة: «قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات: أحدهما: أنّ القاعدة التي استَقْرأتُها من القرآن: كلُّ سورة تَفْصيل لإجمالِ ما قَبْلها، وشَرْحٍ له

وإطناب لإيجازه، وقد استمرَّ ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مُجمَلات الفاتحة»(46).

ولو تجاوزنا العصور السابقة إلى أقوال المحدثين، لكي نُقاربَ مدلولاتهم في معاني المعمار والبناء فإننا نجد وصفاً دَقيقاً للسِّمات الهندسية في السورة القرآنية؛ إذ تُعدّ السورة في تركيب مقاطعها وآياتها كالبُنْيان الواحد المركَّب من بُنْيَاتٍ مترابطة ومتماسكة إلى درجة التَّلاحم، فقد صنفوا مؤلفات يؤكدون فيها هذه الواحدة القرآنية، فقد ألف محمود البستاني "التفسير البنائي للقرآن الكريم"، كما اعتنى سيد قطب بالوحدة القرآنية لسور القرآن في تفسيره، وقدم الشيخ سعيد حوّى ما سمّاه بالوحدة القرآنية في كتابه "الأساس في التفسير"، ثم تتالت الكتابات خاصة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، منها: الوحدة الموضوعية في القرآن لمحمود حجازي، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني لأحمد جمال العمري، ومباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم.

ونجد أحسن من استشعر وحدة النسق القرآني واستدل لها وأطنب في إثباتها وعَمَد إلى إبرازها تطبيقيا في إحدى سور القرآن الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم حيث توخى بيان حسن التأليف في السور القرآنية، وقد صور تماسك بناء السورة فقال: «إنك لتَقرَأ السورة الطويلة المُنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، أوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي تولدت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكليَّة على أُسُس وأصول، وأُقِيمَ على كلِّ أصْل منها شُعَبٌ وفصول، وامتدَّ من كل شعبة منها فروع تَقْصُر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية بنيان واحد، وقد وضع رسمه، مرّة لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، وكل ذلك من غير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يُريكَ المنفصلَ متصلاً، والمختلف مُؤتلفًا..»(47).

فهذا كلّه -إن دلّ على شيء- فإنما يدلّ على أن القرآن كله من أول "الفاتحة" إلى آخر "الناس" وحدة واحدة، تتكامل آياته، وتتناسق سوره- طويلة كانت أم قصيرة، مكية كانت أم مدنية- يأخذ بعضها بأعناق بعض،﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود:1)، فهو لا شك قوي البناء، محكم الترتيب، ومن ثم تأتي آياته متناسبة، لا تنافر بينها، فالعالِمُ باللغة والمتقنُ في علوم البلاغة يجد أنه لا يوجد حرف في القرآن إلا في مكانه، ولا كلمة فيه إلا في محلها ولا جملة فيه إلا مرتبطة مع ما قبلها وما بعدها، بحيث لو نَقُص منه حرف أو زيد فيه حرف لاختلّت بلاغته. ذلك لأنه كلام الله العليم الحكيم، الذي لا يدخله خلل ولا نقصان، وهو فوق مستوى كلام البشر فصاحة وبلاغة. ويقول الشيخ علي الطنطاوي، -وهو يتحدث عن وحدة هذا التركيب القرآني- قائلا: «كتاب أمر الله نبيه أن يتحدى به الناس جميعا، فتحدى الإنس والجن، أن يأتوا بعشر سور من أمثال سوره، وأن يأتوا بسورة واحدة، فعجزوا! وهذا التحدي قائم إلى الآن، والعجز مستمر إلى الآن. إعجازه ثابت، ولكن لا تبحث كما يبحث علماء البلاغة، عن موطن الإعجاز، فإن موطن الإعجاز ليس في ألفاظه وحدها، ولا في أخباره عن المغيبات فقط، ولا في أمر واحد من الأمور التي ادّعوا فيها، بل فيه كله مُجْتمعاً»(48).

5- البنائية القرآنية والبنائية الكونية

إن المتدبر في آيات نظم القرآن الكريم ووحدة سوره، ودلائل النظم الحكيم في التناسق الكوني والخلق والخلائق، يدرك أن القرآن الكريم معرفة معادلة للوجود الكوني وحركته، فوجود القرآن يقتضي الوجود الكوني، والوجود الكوني يؤكد الحقيقة المطلقة للقرآن الكريم في كلياته وشموله، فالقرآن هو المعادل بالوعي لهذا الخلق الكوني، أي إنه الحق الذي يعادل الخلق، فهو المحتوى للمنهج الكامل؛ ذلك أن القرآن والكون كتابين؛ كتاب تدويني وكتاب تكويني، «فالكِتَابُالتدويني (القرآن) يتجلى فيه الكتاب التكويني (العالم) بدقة، مثلما يتجلى الكتاب التدويني في التكويني، وهما وجهان لحقيقة واحدة... بل إن معرفة أيا منهما معرفة حقة لا تكتمل إلا بالاستعانة بالكتاب الآخر»(49)، وقد دعا الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات إلى إعمال العقل والفكر والنظر في آيات الكون

المنشور وآيات الكتاب المسطور: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82). كما قال في وصف آياته الكونية: ﴿..إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:3).

تقول الباحثة فاطمة الزهراء الناصري: « بعد أن اكتشف العقل البشري أن الكون بنية عضوية موحدة، بهرته هذه الوحدة البنائية في الكون وأعجب بمآلاتها المعرفية غير المحددة فطفق يصبغ بها الكثير من الحقول المعرفية، وهذه الوحدة الكونية هي معادل لوحدة أخرى على مستوى النص الإلهي؛ إذ الأول خلقه والثاني كلامه، وكل شيء يصطبغ بصبغة مصدره ومنبعه؛ فالله الواحد الأحد لا يصدر عنه التناقض أو ما يتصف بالتضارب، ولذلك فالنص القرآني نص ذو بنائية واحدة على مستوى الشكل والمضمون؛ أي لغويا ومعرفيا، وكذلك الكون المادي ذو بنية واحدة مظهريا وضمنيا»(50).

وإنَّ النَّاظر لهذا الكون، يجد فيه مظاهر تدل على أنّه وحدة واحدة حيث يتناسق كل شيء فيه مع غيره تناسقاً دقيقاً، والناظر في هذا الوجود لا يجد فيه غير الانتظام على صورة واحدى مُعْجِبة لا يُداخلها اضطراب ولا تشويش، فلا ينفك بعضها عن الآخر؛ « فالقرآن في بنائيته الحرفية يماثل البنائية الكونية بحيث إذا تفلَّتَ نجم عن موقعه اختلّ النِّظام الكوني كلّه، ولهذا قابل الله بين البنائية الحرفية للقرآن و(مواقع) النجوم، فلم يُقْسِم-سبحانه-بالنَّجم ولكنّه أَقْسَم بمواقعها في سياق تعريفه بخصائص القرآن البنائية :﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: 75، 80)، فليس من أحد يستطيع ضبط الصياغة القرآنية على مستوى الحرف المماثل لصياغة الكون غير الله فلكل حرف وظيفته (الألسنية البنيوية) في الإنشاء القرآني الذي ليس هو مجرد بلاغة فقط، فالاستخدام الإلهي للمادة اللغوية ولأيّ مادة في الكون يختلف نوعياً عن الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة»(51).

والمتأمل في خلق الله جميعا يؤمن بأن هذا الكون نسق من العلامات الدالة على قدرته عزّ وجل «إن الكون نظام هادف نابض بالحياة مفعم بالمعنى، حيث إن كل أجزائه تكوّن بناء عضوياً تتفاعل أجزاؤه بطرق لايزال البشر في بداية الطريق إلى اكتشافها بفضل العلم، أما المسلمون فهم يعلمون أن الخليقة كيان عضوي، وأن كل جزء فيها يخدم غاية ما، حتى لو كانوا لا يعرفونها، وهذا العلم ثمرة لإيمانهم.

إن الآيات من القرآن التي تفيد بنائية الكون وغائيته وملابسة الحكمة لكل مظاهره ودقائقه آيات كثيرة يتعذر حصرها، منها قوله تعالى: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات: 27-33) »(52). ويضيف محمد عبادي «إنَّ الوحدة البنائية في الكون هي التي مكّنت العقل البشري- بعد اكتشافها- من تأسيس كل العلوم التي يمكن أنْ نصطلح على تسميتها: علوم التّسخير، وهي علوم قد تمّ تطويرها إلى حد بلورة المنهجية التّوحيدية بين التّخصصات، والتي أعطت الفكر العلمي مَدَداً قويّاً، وفتحتْ أمامه إمكانات في غاية الكثرة والتّنوع والوظيفة»(53)، هذا يعني أنّ ظاهرة الوحدة الكونية تؤكّد على أنّ سُنّة الله في هذا الوجود تقوم على أساس الوحدة والتعاون بين أجزائه.

وصَفَ الله -تعالى- خلقه بأنّه في غاية الإحكام، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: 88)، فكلّ شيء في الكون وُضِع في محله اللائق به، وله دور في بناء الكون المتناسق، وكذا كلّ عضو في جسد الإنسان يتعاون ويتكامل مع غيره كوحدة واحدة متناسقة محكمة التّدقيق، وقد وصف "سبحانه" أيضاً أنّ كتابه محكم البناء: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود:1).

الخاتمة

القرآن الكريم فيه القابلية لأن يُفسّر الحياة والأحياء للناس، وأن يُظْهِر لهم السُّنن والحقائق، ففي مجال التعاطي مع هذا الكون نجد أن الإنسان يُجري حواراً مع هذا الكون، وهو حوار يقوم على الإيمان الجازم، بأن هذا الكون قد بني وفق نسق، وأن فيه قوانين تحكمه، وأنه ليس فوضى، وأنه مبني على عِلَل، وأنه مُنَظّم وراءه مقاصداً، إنها حكمة الله -عزّ وجلّ- الذي أودع هذه المقاصد، وأودع هذه الحكم في خلقه وفي هذا الكون.

-إن الوحدة القرآنية من أعظم مظاهر الإعجاز والجمال في القرآن الكريم، وإن القرآن الكريم معجز بلغته ومعجز في ترتيبه ونظم آياته، ومعجز في أسلوبه ومضمونه الذي يحمل روعة الأسلوب، فهو مُحْكم السرد، دقيق السّبك، قوي الاتصال، نُظِّمت حروفه وكلماته، ونُسِّقت جُمَله وآياته، وجاء آخره مُساوقًا لأوّله، وبدا أوّله مواتياً لآخره،وأن ما يقوم بين السور وآياته وكلماته من الصِّلات المتنوعة، والتناسب البارع، والارتباط المحكم، والائتلاف البديع ينتهي إلى حدِّ الإعجاز الأكبر، وإن مظاهر الوحدة القرآنية لا تنتهي، ولا يحيط بها إلا الله -جلّ جلاله-، وكُلّما نَظَر المتدبر في هذا الكتاب اكتشف أوْجُهاً جديدة وإعجاز لا ينتهي.

-إن ظاهرة الوحدة في الكون وفي الوجود والكائنات تؤكد على أن الله -سبحانه وتعالى- لم يخلق الكون والإنسان سدى ولا الحياة خلقًا اعتباطيا، كلُّ شيء له نظام يرتبط بسائر أنظمة الكون، هذا النظام الدقيق يقوم على أساس الوحدة والتعاون الدقيق بين أجزائه.

-كما أن الوحدة القرآنية تؤكد من جانب آخر على حقيقة هذه السنة الإلهية. فتلك بمثابة آيات الله المشهودة، وهذه بمثابة آيات الله المتلوة، ومن ثم يمكننا أن نجد وجود التشابه بين الوحدة القرآنية والوحدة الكونية؛ ذلك أن القرآن الكريم ونظامه اللغوي المحكم يشبه نظام الكون المبني على التشابه والترابط، وهذا ما يتوافق مع إبراز وحدة الحقيقة والتطابق بين الوحي والكون، فكل معرفة تتوافق مع قوانين الكون، تتوافق بدورها مع القرآن، وكل ما في كتاب الله معرفة معادلة للوجود الكوني وحركته، فـ «الوحدة الكونية معادلة لوحدة النص الإلهي، فالأول خلقه والثاني كلامه سبحانه، فكل يتصف بواحديته وعدم تشاكسه بنية منهجا»(54).

الهوامش والإحالات:

1- ابن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مادة (وحد)، ج3، ص: 449، 450.

2- يذكر الراغب الأصفهاني في المفردات ما يأتي: «الوحدةُ الانفرادُ والواحد في الحقيقة هو الشيءُ الذي لا جُزْءَ له البَتّة ثم يطلق على كلّ موجود ... فالواحدُ لفظٌ مشترك يستعمل على ستة أوجه ما كان واحداً في الجنس مثل الإنسان، والفرس أو النوع مثل محمد وعلي، أو ما كان واحداً بالاتصال في الشخص أو الصنعة أو ما كان واحداً لعدم النظير مثل الشمس، أو ما كان واحدا لعدم التجزئة فيه مثل الذرة، أو ما كان واحداً في مبدأ العدد مثل واحدٌ، أو في مبدأ الخط كالنقطة، والوحدة في الكل عارضة»، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009، ص: 931.

3- أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1998، ص: 931.

4- طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006، ص: 11.

5-المرجع نفسه، ص: 11، 12.

6- ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصّه وقدَّم له وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسان آل سلمان، دار ابن عفان، (د.ط)، (د.ت)، ج4، ص: 267، 268.

7- «يُسمّي أصحابُ هذه الرؤية هذا البرهان بالبرهانِ الغائيّ (*Teleological argument*) كما عند (توما الأكويني)، أو برهانِ العنايةِ كما عند (ابن رشد) قبْلَهُ، وهو يقوم -عند ابن رشد- على أصلين: موافقةِ جميع أجزاء العالَمِ لوجود الإنسان، وأن ما كان مُسَدَّدًا نحو غاية واحدة، فهو مصنوعٌ لحكمة ضرورةً»، سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2018،ص: 443.

8- ينظر: سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم ، ص: 443، 444.

9-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، المجلد 1، ص: 152.

10- عبد الرحيم النحلاوي، من أساليب التربية بالقرآن، التربية بالآيات، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد: 32، 1990 ص: 43.

11-لمعرفة المزيد من آيات الله في الآفاق وما في عالم الفضاء من أحجام وتباعد وتناسب، ينظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، المكتب الإسلامي، دار العربية، ط3، 1969، ص: 307- 311.

12- الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 311.

13- عبد الرحيم النحلاوي، من أساليب التربية بالقرآن، التربية بالآيات ، ص: 44.

14- جاء في كتاب "الإنسان بين العلم والدين" لشوقي أبو خليل حيث يقول: «يبعد القمر عن الأرض 240,000ألف ميل، هذا البعدُ يعد مدروس إذا اقترب القمر وقصرت هذه المسافة تحدث الكوارث والبلايا، بسبب زيادة قوة المد والجزر، فيغمر الماء الموانئ ويكتسح المدن، وتلتقي البحار بعضها ببعض، فلا ينجو من البشر أحد، وتغيُّر بعد القمر عنا إلى مسافة أكبر، يغير من سرعة دوران الأرض، وبالتالي اختلال

الليل والنهار فتضطرب الحياة »، شوقي أبو خليل، الإنسان بين العلم والدين، دار الفكر، دمشق، ط2، 1977، ص: 119. وينظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 305.
15- للاطلاع في تفاصيل هذه المسألة ينظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 316- 323.
16- ينظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 307.
17- ينظر: المرجع نفسه، ص: 305.
18- ينظر: المرجع نفسه، ص: 304، 305.
19-المرجع نفسه، ص: 304.
20- كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، دمشق، ط1، 2012، ص: 32.
21- أمير فيصل فتح، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلين ودورها في الفكر الإسلامي، بحث لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: محمد عبد التواب حامد، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2002، ص: 6.
22- كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ص: 114.
23-منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1991، ص: 40.
24- أمير فيصل فتح، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلين ودورها في الفكر الإسلامي، ص: 6، 7. وينظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص:320، 321، 343. وينظر: كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ص:31، 33،32. وينظر: منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص: 192، 193.
25- ينظر: أمير فيصل فتح، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلين ودورها في الفكر الإسلامي، ص: 8.
26- المرجع نفسه ، ص: 8.
27- المرجع نفسه ، ص: 9.
28- الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 401.
29- كريسي موريسون، العلم يدعو للايمان، ص: 109، 110.
30-«يعود مصطلح (المعمارية) النصية إلى جبرار جنيت (1979)، ليعني به البناء الذي تتحدد من خلاله جنسية النص أو نوعيته. ولذلك كان هذا الكتاب خالصا للأجناس الأدبية. ولا علاقة لهذا المصطلح بـ«الجامع النصي» كما ترجم إلى العربية. إن هناك فرقا بين السابقتين أرشي (*architexte*) التي تتصل بالبناء أو المعمار، وأركي (*arché*) التي تعني الرئيس أو العالي، وتترجم (*archétype*) بالأنماط العليا»، سعيد يقطين، بناءُ النص القرآني ومعماريتُه، جريدة القدس العربي، 20 أبريل، 2022، *https://www.alquds.co.uk/*
31- مصطفى محمد زكي الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط1، 1982، ص: 36.
32- عبد الرحمن بودرع، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013، ص: 52.
33 - محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة-قطر، 1985، ص: 142، 143.
34-«يختص النص القرآني عن غيره من النصوص بكونه يُنْتَسب إلى لغة البشر دون أن يتقيّد بنسبيّتها، فلغة القرآن وبناؤه التركيبي والبلاغي له صفة الإطلاق بحيث لا يمكن أنْ يحصر فهمه بتاريخية معينة سواء كانت لغوية أو اجتماعية أو ثقافية، دون أن ينفي ذلك أنّ الإحاطة بمعطيات تاريخ عصر النّزول شرط معرفي للفهم، فإطلاق المعنى القرآني ينبع من صفة الإلهي، وهذه الإطلاقية لا يمكن مقاربتها من قبل البشر إلا من خلال تنزلها في قوانين التواصل البشري (اللغة)، فالإعجاز القرآني يتجلى من خلال تضمين معنى إلهي في قالب لغوي يفهمه البشر، فكانت بنائية اللغة القرآنية من جميع وجوهها تتسم بالإطلاقية التي هي صفة الإلهي مصدر النص»، عبد الرحمن حللي، المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، حلب-سوريا، ط1، 2011م، ص: 9.
35- صلاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار المنارة، جدة- السعودية، ط1، 1986، ص: 152.
36-الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج3، ص: 181.
37- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، ج4، ص: 1851.
38-طه جابر العلواني، الوحدة البنائية في للقرآن المجيد، ص: 10، 11.
39- بدر الدين الزكشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، وزملائه، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1990، ج1، ص: 132.
40- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1970، ص: 99.
41- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مؤسسة دار العلوم، ط1، 1407ه، ج12، ص: 526.
42-بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 36-37.
43-برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص: 10، 11.
44- المرجع نفسه،ج1، ص:14.

45-برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1987، ج1، ص:149.
46-جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1986، ص: 65.
47- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة-قطر، ط1، 1985، ص: 155.
48- علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، ط1، 1989، ص: 182، 183.
49- عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص: 66.
50- فاطمة الزهراء الناصري، المنهج الترتيلي والإعجاز المنهجي في القرآن الكريم، مجلة الترتيل في القرآن المجيد منهج وبناء، الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، العدد1، يونيو 2013، ص: 77، 78.
51-محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص: 96، 97.
52- أحمد عبادي، نحو منهجية معرفية للدراسات القرآنية، مجلة الترتيل في القرآن المجيد منهج وبناء، العدد1، ص: 23، 24.
53- المرجع نفسه، ص: 24.
54- فاطمة الزهراء الناصري، المنهج الترتيلي والإعجاز المنهجي في القرآن الكريم، مجلة الترتيل في القرآن المجيد منهج وبناء،العدد1، ص: 78.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.
1- أحمد عبادي، نحو منهجية معرفية للدراسات القرآنية، مجلة الترتيل في القرآن المجيد منهج وبناء، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، العدد1، يونيو 2013.
2-أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصَّه وقدَّم له وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسان آل سلمان، دار ابن عفان، (د.ط)، (د.ت).
3-أمير فيصل فتح، نظرية الوحدة القرآنية عند علماء المسلين ودورها في الفكر الإسلامي، بحث لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إشراف: محمد عبد التواب حامد، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2002.
4- بدر الدين الزكشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، وزملائه، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1990.
5-برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1987.
6-برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
7- أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1998.
8-جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1986.
9- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009.
10-الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.
11- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003.
12-سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2018.
13-سعيد يقطين، بناءُ النص القرآني ومعماريتُه، جريدة القدرس العربي، 20 أبريل، 2022، https://www.alquds.co.uk/%d8%a8%d9%86%d8%a7%d8%a1%d9%
14- شوقي أبو خليل، الإنسان بين العلم والدين، دار الفكر، دمشق، ط2، 1977.
15- صلاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار المنارة، جدة- السعودية، ط1، 1986.
16- طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006.
17- عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2005.
18- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مؤسسة دار العلوم، ط1، 1407ه.
19- عبد الرحمن بودرع، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013.
20- عبد الرحمن حللي، المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، حلب-سوريا، ط1، 2011م.

21- عبد الرحيم النحلاوي، من أساليب التربية بالقرآن، التربية بالآيات، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد: 32، 1990.
22- علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، ط1، 1989.
23- فاطمة الزهراء الناصري،المنهج الترتيلي والإعجاز المنهجي في القرآن الكريم، مجلة الترتيل في القرآن المجيد منهج وبناء، الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، ع1، يونيو 2013.
24-كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، دمشق، ط1، 2012.
25- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
26- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1970.
27- محمد بن مكرم بن على، جمال الدين بن *منظور*، لسان العرب دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).
28- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة-قطر، ط1، 1985.
29- مصطفى محمد زكي الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط1، 1982.
30-نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، المكتب الإسلامي، دار العربية، ط3، 1969.